في انتظار «غودو»

التأم عقد الوفود المشاركة في مؤتمر السلام في مدريد، في ١٩٩١/١٠/٣٠، بعد ان وافقت جميع الاطراف المعنيّة على مضمون الدعوة التي وجّهتها الدولتان اللتان ترعيان المؤتمر. وقد قال نائب الرئيس السوري، عبدالحليم خدام، في مقابلة مع صحيفة «الراية» القطرية: «ان نجاح المبادرة الاميركية وتحقيق السلام استناداً الى الدعوة التي قامت عليها العملية السلمية أمر مهمّ يخدم المنطقة ويحقق أهدافنا في استعادة الاراضي والحقوق العربية؛ وعلى هذا الاساس قبلنا المشاركة في مؤتمر السلام» (السلام، الجزائر، ١٩٩١/١٢/٢٣). كما صرّح الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، عشية افتتاح مؤتمر مدريد «بأنه يعتمد على الولايات المتحدة الاميركية لانجاح مؤتمر السلام في الشرق الاوسط... [و] ان الفلسطينيين يريدون ان يتفاوضوا بكل كرامة وواقعية» (المصدر نفسه، ١٩٩١/١٠/٣٠). وأوضح رئيس لجنة التوجيه الفلسطينية، فيصل الحسيني، «ان المفاوضات لن تقتصر على نهاية معيّنة ترتبط بالحكم الذاتي للفلسطينيين؛ فآفاق البحث مفتوحة أمامنا لطرح كل ما نعتقد بأنه حقنا... [كما] ان منظمة التحرير الفلسطينية ستشارك مشاركة فعلية في مؤتمر السلام... [لكن] الفلسطينيين لم يتلقّوا أية ضمانات حول هذا الموضوع؛ الّا ان هذا لا يمنع من مشاركة كل الشعب الفلسطيني، بما فيهم منظمة التحرير الفلسطينية...» وقال «ان التطمينات الاميركية للفلسطينيين تؤكد اقامة دولة كونفيدرالية مع الاردن، وانسحاب اسرائيل، وتطبيق قرارات الامم المتحدة» (المصدر نفسه).

وقد افتتح مؤتمر مدريد للسلام في الشرق الاوسط الرئيسان، الاميركي جورج بوش والسوفياتي ميخائيل غورباتشيوف. وقال الرئيس الاميركي، في كلمة الافتتاح «ان الوقت حان لانهاء الحرب واحلال السلام وهذه ارادة الولايات المتحدة... حتى تتمكّن شعوب المنطقة من معرفة معنى السلام ونعمته...» ودعا «كل أطراف النزاع في الشرق الاوسط الى عدم تضييع فرصة السلام المتاحة وتجنّب أي عمل فردي من شأنه عرقلة مسيرة السلام...» وتوقّع ان تواجه المفاوضات «لا محالة، صعوبات / وربما قد تعرف توقّفات؛ لكن الأهمّ ان نسلط انظارنا على ما يمكن ان يحقق السلام الحقيقي/» (المصدر نفسه، ١٩٩١/١٠/٣١).

عدا الرئيس الاميركي تحدث في جلسة الافتتاح كل من رئيس وزراء اسبانيا ورئيس الاتحاد السوفياتي. واختتم كلمات الافتتاح وزير خارجية مصر، عمرو موسى، الذي كان من بين ما قاله «ان الانسحاب الكامل من الاراضي التي احتلت منذ عام ١٩٦٧ في الضفة الغربية، بما في ذلك القدس الشرقية وغزة ومرتفعات الجولان وجنوب لبنان، هو المدخل الصحيح لاقرار سلام حقيقي... [كما] ان الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني هو الضمان الاول للتعايش بين الاسرائيليين والفلسطينيين، بل ومع العرب جميعاً في كافة أوطانهم... ولذلك فان: ١ ـ الوضع القانوني للشعب الفلسطيني لا يقبل الطعن... [فهو] شعب له تاريخ وحضارة؛ ٢ ـ الضفة والقطاع والجولان أرض عربية محتلة، واحتلالها غير مشروع ولا سند له في القانون الدولي؛ ٣ ـ المستوطنات في المناطق سابقة الذكر، وفي القدس، هي مستوطنات غير مشروعة...؛ ٤ ـ لمدينة القدس وضعها الخاص، حيث يتعيّن ان تظل حرة مفتوحة ومقدّسة لكل المسلمين والمسيحيين واليهود... والقرارات المنفردة التي أصدرتها سلطة الاحتلال بضمّ المدينة لا تمثّل، بالنسبة لنا... قرارات تتمتّع بأي مصداقية أو مشروعية؛ ومن ثمّ يجب ان يخضع وضع المدينة للتفاوض، ويتقرّر بالاتفاق في اطار الشرعية التي صاغتها قرارات أجمع عليها المجتمع الدولي» (المساء، الجزائر، ١ ـ ١٩٩١/١١/٢).